بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

أما بعد :

فهذه مذكرة لمادة علوم القرآن (١١٢).

والتي مفرداتها

تواتر القرآن الكريم .

والاقتباس من القرآن.

وآداب تلاوة القرآن الكريم، وآداب الاستماع إلى القرآن الكريم.

الممنوعات في التلاوة .

أفضل وفاضل القرآن.

الأحكام الخاصة بالمصحف، التحذير من هجر القرآن .

القرآن يهدي للتي هي أقوم.

نزول القرآن على سبعة أحرف

وقد كتبتها على وجه الاختصار والسرعة، لأبنائي الطلاب ، في مرحلة البكالوريوس، عسى أن ينفع الله بها، والله المسؤول أن يتقبلها وجميع عملي خالصا لوجهه الكريم.

كتبه

أ.د. محمد بن عمر بازمول

حرر في ١٤٣٨/٦/١٦هـ

تواتر القراءات

ذكر العلماء – رحمهم الله تعالى – ضابطًا يُمَيِّز القرآن عن غيره، خلاصته: (القرآن كلام الله المُنَزَّل على رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – بواسطة جبريل – عليه الصلاة والسلام – المنقول إلينا تواترًا، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المجموع بين دفتي المصحف المفتتح بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس)[(١)].

وبتأمل هذا الضابط نجد أنه اشتمل على الشروط والقيود التالية:

١– أنه أخرج كلام غير الله بعبارة: «القرآن كلام الله»، فلا يسمى كلام الملك ولا كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – قرآنًا.

٢– وعبارة «المُنَزَّل على رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – بواسطة جبريل – عليه الصلاة والسلام–»: بينت أن المقصود هنا ما نزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – دون غيره من الأنبياء.

٣– وعبارة «المنقول إلينا تواترًا»: أدخلت القراءات المتواترة حقيقة أو حكمًا، وأخرجت القراءة الشاذة، والآحادية التي لم تتلق بالقبول، فلا تسمى قرآنًا بالضوابط التي ذكرناها[(٢)].

٤– وعبارة «المتعبد بتلاوته»: أخرجت الحديث القدسي والنبوي فلا يسميان قرآنًا.

---

(١) هذا الضابط عبَّرْتُ به من عندي مستفادًا من كلام العلماء – رحمهم الله – وانظر: «روضة الناظر»، ص: (٦٠ – ٦١)، «النبأ العظيم»، ص:)١٤).

(٢) وانظر: «النشر في القراءات العشر» (١/ ٩ – ١٩).

٥- وعبارة «المُعْجِز بأقصر سورة منه»: أخرجت ما ليس بمعجز[١].

القراءات تنقسم من جهة النقل إلى قسمين:

١- قراءة متواترة.

٢- قراءة آحادية، وهي قسمان:

(أ) قراءة مشهورة.

(ب) قراءة غير مشهورة.

أمَّا القراءة المتواترة فهي: القراءة التي رواها جماعة عن جماعة (من غير تعيين عدد على الصحيح) كذا إلى منتهاها يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب[٢].

أما القراءة الآحادية المشهورة فهي القراءة التي صح سندها و لم يبلغ درجة التواتر، ووافقت رسم المصحف ولو احتمالًا ووافقت وجها من العربية، واشتهرت

---

(١) يرِدُ على هذا القيد: أن كون القرآن معجزًا ليس لازمًا بيِّنا إذ لا يعرفه إلا الأفراد من العلماء فضلًا عن أن يكون ذاتيًا، فكيف يصح جعله قيدًا للتعريف عن الحقيقة، والتعريف إنما يكون بالذاتيات أو باللوازم البينة؟. ويَرِدُ أيضًا: أن معرفة السورة متوقفة على معرفة القرآن وهذا دور؟ «روح المعاني» (١/ ٨ - ٩). قلت: والجواب: أن هذين الإيرادين غير واردين لأن هذا القيد لا يقصد به الحد وإنما المقصود به أن يكون ضابطًا مميزًا فقط. والدور هو: توقف الشيء على نفسه. انظر: «التعريفات»، ص:)١٠٥(، و«ضوابط المعرفة»، ص:)٣٣٣(. والدور هنا: أن معرفة القرآن متوقفة على معرفة السورة ومعرفة السورة متوقفة على معرفة القرآن.

(٢) «المنجد» ص:)١٥(، «اللطائف» (١/ ٦٩)، وقيل بتعيين العدد الذي يحصل به التواتر واختلفوا فيه؛ فقيل: ستة، وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون. المصدر نفسه.

عند القراء بالقبول[١].

أما القراءة الآحادية غير المشهورة فهي القراءة التي اختل فيها شرط من شروط القراءة الآحادية المشهورة، وهي أنواع بحسب القبول.

قال القسطلاني (ت: ٩٢٣هـ): «القراءات بالنسبة للتواتر وعدمه ثلاثة أقسام:

قسم اتفق على تواتره، وهم السبعة المشهورة.

وقسم اختلف فيه، وهم الثلاث بعدها.

وقسم اتفق على شذوذه، وهم الأربعة الباقية»اهـ[٢].

قلت: الذي تحرر من كلام أهل العلم أن القراءات الثلاثة المتممة للعشر (أعني: قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وخلف) متواترة برواتها المشهورين في جمهور أفرادها.

قال ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ): الذي وصل إلينا اليوم متواترًا وصحيحًا مقطوعًا به قراءات الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز ...»اهـ[٣].

قال الدمياطي (ت: ١١١٧هـ): «و(هو) الصحيح المختار الذي تلقيناه عن

---

(١) «المنجد» ص:)١٦)، «النشر» (١/ ٩، ١٣).

(٢) «اللطائف» (١/ ١٧٠).

(٣) المنجد ص:)٢٣)، ولا يفهم من كلامه هنا الجزم بتواتر جميع أفراد القراءات العشر، فقد قال قبل هذا الموضع في كتابه «المنجد» ص:)٢٠): «وإنما المقرؤ به عن القراء العشرة على قسمين متواتر وصحيح مستفاض متلقى بالقبول، والقطع حاصل بهما»اهـ.

عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم، وبه نأخذ»اهـ[١].

أما القراءة المشهورة فهي عند العلماء: كل قراءة صح سندها ووافقت رسم المصحف ولو احتمالًا ووافقت العربية ولو بوجه واشتهرت بالقبول عند علماء هذا الشأن.

وهذه القراءة التي توفرت فيها هذه الشروط صحيحة عندهم[٢].

واستفاضة القراءة الصحيحة السند وتلقيها بالقبول يقوم مقام التواتر في القطع بقرآنيتها ففيه إشارة إلى أن المقصود حصول القطع بقرآنية القراءة إما بتواتر سندها، أو بالقرائن التي تحف بالسند الآحادي فتجعله يفيد ما يفيد التواتر، وسيأتي مزيد بسط لهذا – إن شاء الله – والله أعلم وأحكم.

ويلاحظ ما يلي:

أن الأسانيد المذكورة في كتب القراءات، هي أسانيد الاختيار المنسوب إلى الإمام من أئمة الإقراء.

وقال أبو المعالي محمد بن أحمد بن اللبان[٣] (من شيوخ ابن الجزري): «انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القرآن عن غيرهم فلقد كان يتلقاه أهل كل بلد يقرأه منهم الجم الغفير عن مثلهم، وكذلك دائمًا، والتواتر حاصل لهم، ولكن الأئمة الذين تصدوا لضبط الحروف وحفظوا شيوخهم فيها جاء السند من جهتهم.

---

(١) «الإتحاف» ص:)٧) بزيادة ما بين العارضتين.

(٢) «المنجد» ص:)١٦)، «النشر» (١/ ٩، ٣١).

(٣) محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن جامع أبو المعالي ابن اللبان الدمشقي استاذ محرر ضابط (٧١٥ – ٧٧٦هـ). «غاية النهاية» (٢/ ٧٢).

وهذه الأخبار الواردة في حجة الوداع ونحوها أجلى، ولم تزل حجة الوداع منقولة عمن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر، فهذه كذلك.

قال: وهذا موضع ينبغي (التنبه) له»اهـ[١].

من تمام هذا قول ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) - رحمه الله - : «نعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنّما هو من حيث أنه كان أضبط له وأكثر قراءة، وإقراء به، وملازمة له، وميلًا إليه، لا غير ذلك.

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القاريء وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به فآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به، وقصد فيه، وأخذ عنه، فذلك أضيف إليه دون غيره من القراء وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد»اهـ[٢].

فالقراءات السبع والعشر في جملتها وجمهور تفاصيلها لا تعتمد في تواترها على الأسانيد المدونة في كتب القراءات، وأن هذه الأسانيد إنما تنقل لنا أسماء من تصدى لضبط القراءات ونقلها خلفا عن سلف، فهي مجرد طريق علمي اصطلاحي لنقل القراءة، وليست طريق الأخبار وحصول حقيقة العلم بها في ذاتها، لأنها (أعني: القراءات) حاصلة قبل أن يولد هؤلاء الأئمة الذين نقلوا أسانيدها.

وهذا أصل مهم ينبغي التنبه له، كما قال ابن اللبان - رحمه الله تعالى -؛ لأن كثيرًا من الناس يتشوش فكره بعدم فهمه بل هذا مدخل استغله الزنادقة قديمًا

---

(١) نقله في "المنجد» ص:)٧٠)، وانظر: منه ص: (٦٧ - ٧٠)، و«لطائف الإشارات» (١/ ٧٨).

(٢) «النشر» (١/ ٥٢).

والمستشرقون وأضرابهم حديثًا؛ لقلة علمهم في هذا الباب، ولعدم تقرر هذا الأصل لديهم وهو أصل مطرد في كثير من قضايا الدين المهمة كالصلاة مثلًا لو نظرنا إلى أحاديثها فهي – غالبًا – آحاد لكن الصلاة في جملتها وجمهور تفاصيلها منقولة لنا بنقل الكافة عن الكافة الذين يحصل بهم أوثق أنواع النقل التواتر، والله أعلم.

الاقتباس من القرآن الكريم(١)

تعريف الِاقْتِبَاسُ : هو تَضْمِينُ الشِّعْرِ أَوِ النَّثْرِ بَعْضَ الْقُرْآنِ لَا عَلَى أَنَّهُ مِنْهُ بِأَلَّا يُقَالَ فِيهِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَنَحْوُهُ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ اقْتِبَاسًا.

وَقَدِ اشْتُهِرَ عَنِ الْمَالِكِيَّةِ تَحْرِيمُهُ وَتَشْدِيدُ النَّكِيرِ عَلَى فَاعِلِهِ .

وَأَمَّا الشافعية فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ منهم وَلَا أَكْثَرُ الْمُتَأَخِّرِينَ مَعَ شُيُوعِ الِاقْتِبَاسِ فِي أَعْصَارِهِمْ وَاسْتِعْمَالِ الشُّعَرَاءِ لَهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا.

وَقَدْ تَعَرَّضَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ فَسُئِلَ عَنْهُ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ ابن عَبْدِ السَّلَامِ فَأَجَازَهُ وَاسْتَدَلَّ لَهُ بِمَا وَرَدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا: "وَجَّهْتُ وَجْهِيَ: "إِلَى آخِرِهِ وَقَوْلِهِ: "اللَّهُمَّ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِني مِنَ الْفَقْرِ ".

وَفِي سِيَاقِ كَلَامٍ لِأَبِي بَكْرٍ: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ .

وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِهِ فِي مقام الموعظ وَالثَّنَاءِ وَالدُّعَاءِ وَفِي النَّثْرِ، و لَا دَلَالَةَ فِيهِ عَلَى جَوَازِهِ فِي الشِّعْرِ .

وفَرْقٌ الْقَاضِيَ أَبو بَكْرٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ بين الاقتباس قي الشعر وفي النثر؛

فصَرَّحَ بِأَنَّ تَضْمِينَهُ فِي الشِّعْرِ مَكْرُوهٌ، وَفِي النَّثْرِ جَائِزٌ.

وَاسْتَعْمَلَهُ أَيْضًا فِي النَّثْرِ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي مَوَاضِعَ مِنْ خُطْبَةِ الشِّفَا.

وَقَالَ الشَّرَفُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْمُقْرِئِ الْيَمَنِيُّ صَاحِبُ مُخْتَصَرِ الرَّوْضَةِ فِي شَرْحِ بَدِيعِيَّتِهِ: مَا كَانَ مِنْهُ فِي الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ وَمَدْحِهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم وآله وصحبه وَلَوْ فِي النَّظْمِ فَهُوَ مَقْبُولٌ. وَما كان منه في غَيْرُالخطب والمواعظ

---

(١) ملخص من الاتقان في علوم القرآن للسيوطي من النوع الخامس والثلاثون (١/ ٣٨٦-٣٩٠).

ومدحه صلى الله عليه وسلم فهو مَرْدُودٌ.

وَفِي شَرْحِ بَدِيعِيَّةِ ابْنِ حُجَّةَ: الِاقْتِبَاسُ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

مَقْبُولٌ.

وَمُبَاحٌ.

وَمَرْدُودٌ.

فَالْأَوَّلُ: مَا كَانَ فِي الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْعُهُودِ.

وَالثَّانِي: مَا كَانَ فِي الْقَوْلِ وَالرَّسَائِلِ وَالْقِصَصِ.

وَالثَّالِثُ: عَلَى ضَرْبَيْنِ:

أَحَدُهُمَا : مَا نَسَبَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ – وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِمَّنْ يَنْقُلُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا قِيلَ عَنْ أَحَدِ بَنِي مَرْوَانَ أَنَّهُ وَقَّعَ عَلَى مُطَالَعَةٍ فِيهَا شِكَايَةُ عُمَّالِهِ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

وَالْآخَرُ : تَضْمِينُ آيَةٍ فِي مَعْنَى هَزْلٍ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، كقوله:

أوحى إِلَى عُشَّاقِهِ طَرْفَهُ & هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ

وَرِدْفُهُ يَنْطِقُ مِنْ خَلْفِهِ& لِمِثْلِ ذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ

قال السيوطي: وَهَذَا التَّقْسِيمُ حَسَنٌ جِدًّا وَبِهِ أَقُولُ.

وَيَقْرُبُ مِنْ الِاقْتِبَاسِ شَيْئَانِ:

أَحَدُهُمَا: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ يُرَادُ بِهَا الْكَلَامُ.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي التِّبْيَانِ: ذَكَرَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي هَذَا اخْتِلَافًا فَرَوَى النَّخَعِيُّ أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُتَأَوَّلَ الْقُرْآنُ لِشَيْءٍ يَعْرِضُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا.

آداب تلاوة القرآن الكريم،
وآداب الاستماع إلى القرآن الكريم

ذكر العلماء جملة الآداب، أذكر منها ما يلي:

الأدب الأول : إنما يؤخذ القرآن بالتلقي والسماع عن الأشياخ؛

إمّا بالسماع من لفظ الشيخ.

وإمّا بالقراءة عليه.

فلا مجال في القراءة للاجتهاد والابتداع.

و لا يشترط في ذلك أن تكون الْقِرَاءَةُ مِنَ الْحِفْظِ فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَرْطٍ بَلْ يَكْفِي وَلَوْ مِنَ الْمُصْحَفِ.

الأدب الثاني : تجويد القرآن .

جاء عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: "جَوِّدُوا الْقُرْآنَ".

والتَّجْوِيدُ حِلْيَةُ الْقِرَاءَةِ ؛ وَهُوَ إِعْطَاءُ الْحُرُوفِ حُقُوقَهَا وَتَرْتِيبَهَا وَرَدُّ الْحَرْفِ إِلَى مَخْرَجِهِ وَأَصْلِهِ وَتَلْطِيفُ النُّطْقِ بِهِ عَلَى كَمَالِ هَيْئَتِهِ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا تَعَسُّفٍ وَلَا إِفْرَاطٍ وَلَا تَكَلُّفٍ.

وَقَدْ عَدَّ الْعُلَمَاءُ الْقِرَاءَةَ بِغَيْرِ تَجْوِيدٍ لَحْنًا؛

فَقَسَّمُوا اللَّحْنَ إِلَى جَلِيٍّ وَخَفِيٍّ.

فَاللَّحْنُ خَلَلٌ يَطْرَأُ عَلَى الْأَلْفَاظِ فَيُخِلُّ، إِلَّا أَنَّ الْجَلِيَّ يُخِلُّ إِخْلَالًا ظَاهِرًا يَشْتَرِكُ فِي مَعْرِفَتِهِ عُلَمَاءُ الْقِرَاءَةِ وَغَيْرُهُمْ وَهُوَ الْخَطَأُ فِي الْإِعْرَابِ .

وَالْخَفِيَّ يُخِلُّ إِخْلَالًا يَخْتَصُّ بِمَعْرِفَتِهِ عُلَمَاءُ الْقِرَاءَةِ وَأَئِمَّةُ الْأَدَاءِ الَّذِينَ تَلَقَّوْهُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ وَضَبَطُوهُ مِنْ أَلْفَاظِ أَهْلِ الْأَدَاءِ.

وما كان لمنع اللحن الجلي فهو واجب.

وما كان لمنع اللحن الخفي فهو مستحب.

الأدب الثالث : يُسْتَحَبُّ الْإِكْثَارُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ قَالَ تَعَالَى مُثْنِيًا عَلَى مَنْ كَانَ ذَلِكَ دأبه قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (آل عمران: ١١٣).

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: "لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ".

الأدب الرابع : يستحب أن يقرأ القرآن على طهارة. لما جاء عن المُهاجِر بن قُنفُذ: أنَّه أتى النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – وهو يبولُ، فسلَّمَ عليه، فلم يَرُدَّ عليه حتَّى توضَّأ، ثُمَّ اعتَذَرَ إليه فقال: "إنِّي كَرِهتُ أن أذكُرَ اللهَ عزَّ وجل إلا على طُهرٍ" أو قال: "على طهارةٍ" أخرجه أبوداود، وصحح الألباني..

ويحرم أن يمس المصحف إلا على طهارة. لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٧-٧٩).

الأدب الخامس : أن يجلس مستقبلا القبلة، فقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "- " إن لكل شيء سيدا، وإن سيد المجالس قبالة القبلة "[١].

الأدب السادس : وَبتَّعَوُّذُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ لقوله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أَيْ أَرَدْتَ قِرَاءَتَهُ.

الأدب السابع : أن يقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أَوَّلَ كُلِّ سُورَةٍ غَيْرِ بَرَاءَةٌ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهَا آيَةٌ فَإِذَا أَخَلَّ بِهَا كَانَ تَارِكًا لِبَعْضِ الْخَتْمَةِ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ.

فَإِنْ قَرَأَ مِنْ أَثْنَاءِ سُورَةٍ اسْتُحِبَّتْ لَهُ أَيْضًا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ فِيمَا نَقَلَهُ

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة تحت رقم (٢٦٤٥).

الْعُبَادِيُّ.

الأدب الثامن : أن يرتل القرآن العظيم في قراءته، فيقرأ مفصلاً لكل كلمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ . وَأَخْرَجَ الْآجُرِّيُّ فِي حَمَلَةِ الْقُرْآنِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "لَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ ولا تهذوه هذا الشِّعْرِ قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ وَلَا يَكُونُ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ".

الدقل: رديء التمر، ينثره صاحبه لقلة قيمته عنده.

الأدب التاسع : الْقِرَاءَةُ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ وَالْمَطْلُوبُ الْأَهَمُّ وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾.

الأدب العاشر : تَحْسِينُ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ وَتَزْيِينُهَا لِحَدِيثِ ابْنِ حِبَّانَ وَغَيْرِهِ: "زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ".

الأدب الحادي عشر : إن كان في محل لا يحسن فيه الجهر بالقراءة، فالسر أفضل، مثل أن يخشى الرياء والسمعة، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمُسِرُّ بالقرآن كالمُسِرِّ بالصدقة"[(١)] .

وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الفُقَرَاءَ

فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . قال الترمذي: "ومعنى هذا الحديث: إن الذي يُسِرُّ بقراءة

(١) قال الألباني في أصل صفة الصلاة: "أخرجه البخاري في " أفعال العباد " (٩٤) ، وأبو داود (١/ ٢٠٩) ، والنسائي (١/ ٣٥٧) ، والترمذي (٢/ ١٥١ - طبع بولاق) ، وابن نصر (٥٣)، والحاكم (١/ ٥٥٤ - ٥٥٥) ، وأحمد (٤/ ١٥١ و ١٥٨) عن بَحِير بن سعد عن خالد بن مَعْدَان عن كثير بن مُرّة الحضرمي عن عقبة بن عامر مرفوعاً به"اهـ.

القرآن أفضل من الذي يجهر بها؛ لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية. وإنما معنى هذا عند أهل العلم: لكي يأمن الرجلُ من العُجب؛ لأن الذي يُسِرّ العمل لا يخاف عليه العُجب ما يُخاف عليه من علانيته"اهـــ.

فإن أمن الفتنة في الجهر بالقراءة فلا حرج في ذلك، لحَدِيثُ الصَّحِيحَيْنِ: "مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ ".

الأدب الثاني عشر : الاستماع للتلاوة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُـــرِئَ الْقُـــرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ٢٠٤﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

الأدب الثالث عشر : أن لا يتكلم أثناء القرءة للقرآن الكريم، فإن للقـــرآن شغلاً. وأن لا يعبث و لا يلهو أثناء القراءة للقرآن الكريم.

الممنوعات في التلاوة

هناك أمور يمنع منها في التلاوة والتعامل مع المصحف ، منها :

١) الْقِرَاءَةُ بِالْأَلْحَانِ على مقامات الغناء والموسيقى تعمداً، فإن ذلك تشبهاً بأهل الفسق والمجون.

٢) قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالْعَجَمِيَّةِ مُطْلَقًا سَوَاءٌ أَحْسَنَ الْعَرَبِيَّةَ أَمْ لَا فِي الصَّـــلَاةِ أَمْ خَارِجِهَا. وَوَجْهُ الْمَنْعِ أَنَّهُ يُذْهِبُ إِعْجَازَهُ الْمَقْصُودَ مِنْهُ، لأن القرآن نزل بلســـان عربي مبين، ومن قرأ بالعجمية لم يقرأ القرآن، نعم يجوز ترجمة معانيه.

٣) الْقِرَاءَةُ بِالشَّاذِّ نَقَلَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ لَكِنْ ذكر موهوب الْجَزَرِيُّ جَوَازَهَا فِي غَيْرِ الصَّلَاةِ قِيَاسًا عَلَى رِوَايَةِ الْحَدِيثِ بِالْمَعْنَى، وينبغـــي أن يكون ذلك مشروطاً بأن لا يجزم بأنها قرآن.

٤) قِرَاءَةُ السُّورَةِ مِنْ آخِرِهَا إِلَى أَوَّلِهَا ، وهو القراءة بالتنكيس.

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ (قال السيوطي بِسَنَدٍ جَيِّدٍ) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَـــنْ رَجُلٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَنْكُوسًا قَالَ: ذَاكَ مَنْكُوسُ الْقَلْبِ.

٥) اتِّخَاذُ الْقُرْآنِ مَعِيشَةً يُتَكَسَّبُ بِهَا. وَأَخْرَجَ الْآجُرِّيُّ مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ مَرْفُوعًا: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللَّهَ بِهِ فَإِنَّهُ سيأتي قوم يقرؤون الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ بِهِ ".

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ (قال السيوطي: بِسَنَدٍ صَالِحٍ) حَـــدِيثَ: "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عِنْدَ ظَالِمٍ لِيَرْفَعَ مِنْهُ لُعِنَ بِكُلِّ حرَفٍ عَشْرَ لَعَنَاتٍ ".

أفضل وفاضل القرآن

لا يجوز للمسلم أن يفاضل من عند نفسه بين سور القرآن العظيم وآياته، إذ هو كلام الله منه بدأ وإليه يعود.

وعلى المسلم أن يقتصر في هذا الباب على ما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك؛

فالفضائل توقيفية، يعني لا تثبت إلا بدليل شرعي.

و لا تثريب على المسلم إذا اقتصر على ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك.

وهذه جملة من الأحاديث الواردة في فضائل بعض سور القرآن العظيم.

أخرج البخاري وأبوداود والنسائي عن أبي سعيد بن المعلى - رضي الله عنه - قال: «كنتُ أُصَلِّي في المسجد، فدعاني رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم- ، فلم أجِبْه، ثم أتيتُه، فقلتُ: يا رسول الله، إني كنتُ أصلي، فقال: ألم يقُل الله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ ولِلرَّسولِ إِذَا دَعَاكُم﴾)الأنفال: ٢٤) ؟ ثم قال لي: ألا أعلِّمُكَ سورة هي أعظمُ السُّوَرِ في القرآن قبل أن تخرُجَ من المسجد؟ ثم أخذ بيدي، فلما أرادَ أن يخرجَ قلتُ: ألم تَقُلْ: لأُعَلِّمنَّكَ سورة هي أعظمُ سورة في القرآن؟ قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ قال: هي السَّبْعُ المثَاني، والقرآنُ العَظيمُ الذي أوتِيتُه» .

وذلك لأن سورة الفاتحة جمعت مقاصد القرآن العظيم جميعها؛

فإن مقاصد القرآن الكريم هي :

- العقيدة وأمورها.
- الشرائع وأحكامها.
- قصص السابقين والمعاصرين للرسول ﷺ .

والفاتحة اشتملت على أمور العقيدة في أولها.

وعلى الإشارة إلى أمور الشرائع في قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾.

وعلى الإشارة إلى القصص وأحوال الناس مع ما جاءت به الرسل.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة – رضي الله عنـــه – : "أن رســـولَ الله – صلى الله عليه وسلم– خرج على أُبيِّ بنِ كعب وهو يُصلي، فقال له رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم–: يا أُبيُّ، فالتفت أُبي فلم يُجبْه، وصلى وخفّف، ثم انصرف فقال: السلام عليك يا رسولَ الله.

قال: وعليك السلام، ما منعك أن تُجيبَنِي إذ دعوتُك؟

قال: كنتُ في صلاة.

قال: أَفلم تَجِدْ فيما أُوحِيَ إليَّ أن ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وللرسول إذا دعاكم لمـــا يُحْيِيكم﴾؟

قال: لا أَعود إِن شاء الله.

قال: تُحِبُّ أن أُعلّمكَ سورة لم ينزل في التوراة، ولا في الإنجيـــل، ولا في الزَّبور، ولا في الفرقان مثلُها؟

قال: نعم.

قال: كيف تَقْرَأُ في الصلاة؟

قال: فقرأ أمَّ القرآن.

فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم–: والذي نفسي بيده، ما أُنْزِلَ في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلُها، وإِنها سبعٌ من المثـــاني، والقرآنُ العظِيمُ الذي أُعْطِيتُه».

أرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم–: « ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أُمُّ القرآن، وأُمُّ الكتاب، والسبعُ المثاني» .

وأخرج مسلم والنسائي عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال:

«بينا جبريلُ عليه السلام قَاعِد عند النبيِّ – صلى الله عليه وسلم– سمع نَقِيضاً من فوقه، فرفع رأسَه، فقال: هذا باب من السماء فُتحَ اليوم، لم يُفْتَحْ قَطُّ إلا اليوم، فنزل منه مَلَك، فقال: هذا مَلك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلَّم، وقال: أَبْشِرْ بنورَين أُوتيتَهما، لم يُؤتَهما نبيّ قبلَكَ: فاتحةُ الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُعْطِيتَه» .

وأخرج مسلم عن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه – قال: سمعتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم– يقول: «اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤوا الزَّهْرَاوَيْن: البقرة، وآل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَمامتان – أو غَيَايَتان – أو كأنهما فِرْقَانِ من طير صَوَافّ، تُحاجَّانِ عن صاحبهما، اقرؤوا سورة البقرة، فإن أخْذَها بَرَكة، وتَرْكَها حَسْرَة، ولا تستطيعها البَطَلَةُ»

قال معاوية بن سلام: بلغني أن البطلةَ: السَّحَرَةُ.

زاد في رواية «مَا مِن عبد يقرأُ بها في ركعة قبل أن يسجدَ، ثم سأل الله شيئاً إلا أعطاه، إنْ كادتْ لَتَسْتَحصي الدِّين كلَّه» .

)شَرْحُ الْغَرِيبِ نقلاً من كتاب جامع الأصول)

(الزهراوين) لون أزهر: نيِّر، والزَّهْر، والزَّهْرة: البياض النَّيِّر، وهو أحسن الألوان البيض.

(الغمامة) : السحابة، والجمع: الغَمَام.

(الغياية) : كل شيء أظل الإنسان وغيره من فوقه، وهي كالسحابة، وأراد به: أن السورة كالشيء الذي يظل الإنسان من الأذى في الحر والبرد وغيرهما.

(الفِرق) : الجماعة المنفردة من الغنم والطير ونحو ذلك.

(صواف) : جمع صافة، وهي التي تَصُفُّ أجْنِحَتها عند الطيران.

(تُحاجَّان) المحاجَّة: المخاصمة والمجادلة، وإظهار الحجة.

(الاستحصاء) والإحصاء: جمع الشيء وعَدُّه والإحاطة به.

أخرج مسلم وأبو داود عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم-: «يا أبا المنذر، أتدري أَيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟

قلت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾)البقرة: ٢٥٥)؛

فضرب في صدري وقال: لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المنذر»

أخرج البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «وكَّلني رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم- بحفظ زكاة رمضانَ، فأتاني آت، فَجَعَلَ يَحْثُو من الطعام، فأخذتُه، وقلتُ: لأرْفَعَنَّكَ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، قال: إني محتاج، وَعَلَيَّ عيال، وبي حاجة شديدة.

قال: فَخَلَّيْتُ عنه، فأصْبَحْتُ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: يا أبا هريرة: ما فعل أسيرك البارحة؟

قلت: يا رسول الله، شكا حاجة وعيالاً، فرحمته فخلّيت سبيله.

قال: أما إنه قد كذَبك وسيعود، فعرفتُ أنه سيعود، لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فَرَصَدْتُهُ، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفَعَنَّكَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: دعني، فإني محتاج، وعليَّ عيال، لا أعود، فرحمته فخلَّيت سبيله، فأصبحتُ.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: يا أبا هر، ما فعل أسيرك؟

قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته، فخلَّيت سبيله.

فقال: أما إنه قد كذَبك وسيعود، فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام، فقلت: لأرفَعَنَّكَ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وهذا آخر ثلاث مرات. إنك تزعم لا تعود، ثم تعود.

فقال: دعني، فإني أُعلِّمك كلمات ينفعك الله بها.

قلت: ما هُنَّ؟

قال: إذا أويتَ إلى فراشك فَاقْرَأْ آيةَ الكرسي ﴿الله لا إله إلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتى تختم الآية، فإنه لن يزال عَلَيْكَ مِنَ الله حافظ، وَلا يَقْرَبُكَ شيطان حتى تُصْبِحَ، فخلّيت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم–: يا أبا هر ما فَعَلَ أسيرك البارحة؟

قلتُ: يا رسولَ الله، زعم أنه يُعَلِّمني كلمات ينفعني الله بها، فخلّيت سبيله، قال: ما هي؟

قلت: قال لي: إذا أَوَيْتَ إلى فراشك فاقْرأ آية الكرسي من أولها، حتى تختم الآية ﴿اللهُ لا إله إلاَّ هُو الْحَيُّ القَيُّومُ﴾. وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ، وَلَنْ يَقْرَبك شيطان، حتى تصبح – وكان أَحْرَصَ شيء على الخير .

فقال النبيُّ – صلى الله عليه وسلم–: أما إنَّهُ قد صدقك وهو كذوب، تَعْلَمُ مَنْ تخاطبُ منذ ثلاث يا أبا هريرة؟

قال: قلتُ: لا، قال: ذاك شيطان».

أخرج مسلم وأبوداود والترمذي عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم– قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيات من أَوَّلِ (سورة الكهف) عُصِمَ مِن فتنة الدجال» وفي رواية «من آخر الكهف» .

وفي رواية الترمذي «ثلاث آيات من أول سورة الكهف»

أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم قال: «مِنَ القرآن سورة ثلاثون آية شَفَعَتْ لرجل حتى غُفِرَ له، وهي: ﴿تَبَارَكَ الذي بيده الملكُ﴾. وعند أبي داود: «تشفع لصاحبها» .

أخرج مالك والبخاري وأبوداود والنسائي عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – «أَن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُها، فلما أصبح جاء

إلى النبيِّ – صلى الله عليه وسلم–، فذكر ذلك له – وكان الرجل يتَقَالُّها – فقال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم–: والذي نفسي بيده، إنها لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن» . و

وعن أبي سعيد قال: أخبرني أخي قتادة بن النعمان، عن النبيِّ – صلى الله عليه وسلم– وفي رواية: قال: «قال النبيُّ – صلى الله عليه وسلم– لأصحابه: أَيَعْجِزُ أحدُكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أيُّنا يُطيق ذلك يا رسولَ الله؟ فقال: ﴿اللهُ أحد. اللهُ الصمد﴾ ثلثُ القرآن» .

و﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن في المعاني لا في الأجر والثواب، فإن من قرأ عشرة أجزاء من القرآن أجره أعظم من أجر من قرا سورة الإخلاص، لأن الكلمات في الأجزاء العشرة كثيرة، وللقاريء بكل كلمة حسنة والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. بينما كلمات سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ قليلة.

وإنما تعدل ثلث القرآن في المعاني؛ لأن القرآن له ثلاثة مقاصد:

- العقيدة.
- والأحكام.
- وحال الناس مع دعوة الأنبياء وقصصهم.

فـ ﴿قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث معاني القرآن إذ فيها كل ما يتعلق بالعقيدة.

الأحكام الخاصة بالمصحف ، التحذير من هجر القرآن

للمصحف أحكام خاصة منها :

- أن لا يمس القرآن إلا طاهر؛

فلا يمسه كافر.

ولا حائض.

و لا محدث حدث أكبر.

و لا محدث حدث أصغر.

ولا من على يديه نجاسة.

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا يمس القرآن إلا طاهر".

- أن يراعي ترتيب المصحف، فإنه وإن كان باجتهاد من الصحابة، إلا أنهم رتبوه على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا الترتيب حكمة راعوها.

- أن لا يمتهن المصحف ، فلا يضع عليه الكتب، أو يضع عليه الطعام، أو أي شيء، وليكرمه فإن فيه كلام الله سبحانه وتعالى.

- أن ينوي عند بيع المصحف وشرائه بيع الورق والتجليد، لا بيع القرآن فإنه كلام الله جل وعلا.

- وأن يكثر من قراءة القرآن، و لا يهجره. ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾(الفرقان: ٣٠).

وعجر القرآن على صور وأحوال :

الحال الأول : هجر قراءته، وترك العمل بما فيه.

الحال الثانية : هجر قراءته، مع العمل بما فيه.

الحال الثالثة : قراءته مع ترك العمل بما فيه.

والحال الرابعة : قراءته والعمل بما فيه .

والحال الأول حال الكافرين.

والحال الثالثة إذا ثبت لهم الإسلام، فهم من الفاسقين.

والحال الثانية حال المفرطين في نيل الأجر والثواب.

والحال الرابعة حال المؤمنين الصالحين.

القرآن يهدي للتي هي أقوم

الهدايات جمع، مفردها هداية.

والهدى لفظ من قبيل المشترك اللفظي، الذي يصدق على وجوه كثيرة متعددة[١]؛

وقد قسم بعض أهل العلم الهداية إلى أربعة أنواع[٢].

وذكر آخرون أن الهداية نوعان[٣].

وبتأمل هذه المعاني التي جاءت في لفظ الهدى، نجدها تشير إلى خمسة أنواع من الهداية[٤]؛

النوع الأول : الهداية العامة المشتركة بين الخلق، المذكورة في قوله تعالى:

---

(١) وقد قصر ابن الجوزي رحمه الله في كتابه (نزهة الأعين النواظر) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم على المشترك اللفظي، وجعل هذا أصله، وتعقب ذلك ابن تيمية وبين أن الوجوه والنظائر في القرآن الكريم تقوم على نوعين، المشترك اللفظي أحدهما، والثاني: المتواطىء اللفظي. انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٧٦ – ٣٧٧).

(٢) ذكر ابن تيمية أن الهداية أربعة أنواع، كما في مجموع الفتاوى (١٨/ ١٧١ – ١٧٨)، وتابعه ابن القيم، كما في بدائع الفوائد (٢/ ٣٥ – ٣٩).

(٣) ذكر ابن رجب في جامع العلوم والحكم/ الأرنؤوط (٢/ ٤٠) أَنَّ الْهِدَايَةَ نَوْعَانِ: هِدَايَةٌ مُجْمَلَةٌ وَهِيَ الْهِدَايَةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَهِيَ حَاصِلَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَهِدَايَةٌ مُفَصَّلَةٌ، وَهِيَ هِدَايَةٌ إِلَى مَعْرِفَةِ تَفَاصِيلِ أَجْزَاءِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَإِعَانَتِهِ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ لَيْلًا وَنَهَارًا. قلت: وهذان النوعان اللذان ذكرهما ابن رجب عند التأمل يرجعان إلى نوع واحد، وهو هداية البيان والتعليم والإرشاد والدلالة.

(٤) رأى الباحث تقسيم الهداية إلى خمسة أنواع كما تراه في الأصل، مستفيداً أصل التقسيم من كلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، المشار إليه قبل قليل.

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠)، أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره وأعطى كل عضو شكله وهيئته وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال[١].

النوع الثاني : هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك[٢].

وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام فإنها سبب وشرط لا موجب؛ ولهذا ينبغي الهدى معها، والمراد به الهدى إلى التوفيق لقبول الحق، والعمل به، و الثبات عليه.

ومن هذا النوع قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. (الشُّورى:٥٢)، أي لتدعو وتبين لهم طريق الحق، الذي من اتبعه سلم ونجا، ومن خالفه هلك.

والصراط المستقيم هو السبيل الذي يدعو يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً فقال: هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن شماله وعن يمينه ثم خط خطوطاً صغيرة عن شمال هذا الخط وعن يمينه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا سبيلي أشار إلى الخط الطويل وقال: هذا سبيلي وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا إليه ثم تلا: ﴿وَأَنّ هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتّبِعُوهُ وَلاَ تَتّبِعُوا السّبُلَ

---

(١) وهي تشمل وجه الهدى الثاني عشر مما ذكره ابن الجوزي.

(٢) وهي تشمل من وجوه الهدى السابقة التي ذكرها ابن الجوزي رحمه الله، من الأول حتى الحادي عشر، والرابع عشر، ومن السادس عشر حتى التاسع عشر.

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾"(١).

النوع الثالث: هداية التوفيق لقبول الحق والعمل به(٢).

وهذه الهداية مستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (فاطر:٨)، وفي قوله: ﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ (النحل:٣٧). وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، (القصص:٥٦)، فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:٥٢).

النوع الرابع : هداية الثبات على الحق.

فإن الإنسان قد يوفق لقبول الهدى، والعمل به، ولا يوفق للثبات؛ والمصلي يقرأ في كل ركعة الفاتحة ، وفيها سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم؛ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦)، وهي وإن كانت تشمل سائر الهدايات، إلا أن أوضح ما يكون فيها هداية الثبات على الحق.

---

(١) أخرجه أحمد (الميمنية ١/ ٤٣٥ و٤٦٥)، (الرسالة ٧/ ٤٣٦، تحت رقم ٤٤٣٧)، والدارمي في المقدمة (١/ ٧٨رقم٢٠٢)، والنسائي في "الكبرى" كتاب التفسير (٦/ ٣٤٣رقم١١١٧٤ و١١١٧٥)، والطيالسي (٣٣رقم٢٤٤)، والبزار (١٦٩٤) و (١٧١٨) و (١٨٦٥)، وابن أبي عاصم في السنة (ظلال الجنة١/ ٨، رقم١٧)، والمروزي في السنة (٩ - ١٠رقم١١ و١٢)، والطبري في "تفسيره" (١٢/ ٢٣٠رقم١٤١٦٨)، والآجري في "الشريعة" (١١ و١٢)، وابن حبان (١/ ١٨١رقم٦ و٧)، والحاكم (٢/ ٢٦٢رقم٢٩٣٨ و٣٤٨رقم٣٢٤١ عطا)، قال البزار: "وَهَذَا الْكَلامُ قَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ نَحْوَهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ". وقال الحاكم في الموضعين: صحيح الإسناد. وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، وكذا محقق الدارمي، ومحققو المسند.

(٢) ووجه الهداية الخَامِس عشر، وَالثَّانِي وَالْعشْرُونَ، وَالثَّالِث وَالْعشْرُونَ، وَالرَّابِع وَالْعشْرُونَ عند ابن الجوزي، يدخل في هذا النوع الثالث.

النوع الخامس : غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنـــار إذا ســـيق أهلهما إليهما(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُـــمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (يونس:٩)، وقال أهل الجنة فيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾، (الأعراف:٤٣)، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ* مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾. (الصَّفات:٢٢ – ٢٣).

قال جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ مَيْمُونَ بْنَ مِهْرَانَ، يَقُولُ: "مَـــنْ تَبِـــعَ الْقُرْآنَ قَادَهُ الْقُرْآنُ حَتَّى يَحِلَّ بِهِ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْقُرْآنَ لَمْ يَدَعْهُ الْقُرْآنُ يَتْبَعُهُ حَتَّى يَقْذِفَهُ فِي النَّارِ"(٢).

مجالات الهداية القرآنية

يقصد بالمجال: الميادين التي تدخل فيها هداية القرآن العظيم.

والقرآن العظيم كلام الله جل وعلا. دستور المسلمين. حبـــل الله المـــتين. كتاب أمة. وكتاب حياة.

والقرآن كتابُ هداية وإعجاز. صالح ومصلح لكل زمان ومكان(٣).

(١) ووجه الهداية الْعِشْرُونَ، وَالْحَادِي وَالْعِشْرُونَ، فيما ذكره ابن الجوزي يدخل في هذا النوع.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٨٤) بسند حسن.

(٣) ولـيس معنـى ذلـك أن يُهجَـر تفسـيرُه المـأثور، بـل معنـى ذلـك أن فيـه حكـم كـل مـا نحتاجـه، بدلالـة عمومـه وإطلاقـه، وبأصـوله وقواعـده، ولا تنـزل نازلـة بالمسـلمين، إلا والحكـم فيهـا يتبـيَّن بـالرد إلى كتابـه الكـريم وإلى سـنَّة رسـوله ﷺ، حيـث قـال سـبحانه: ﴿فَـإِنْ تَنَـازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَـرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُـولِ إِنْ كُنْـتُمْ تُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ ذَلِـكَ خَـيْرٌ وَأَحْسَـنُ تَـأْوِيلاً﴾ (النسـاء: مـن الآيـة٥٩). فـإنَّ قولـه تعـالى: ﴿فِي شَيْءٍ﴾ جـاءت كلمـة (شيء) نكـرة في سـياق الشرـط، فهـي تفيـد

=

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٩).

فعدى الفعل ﴿يِهْدِي﴾ بحرف اللام ﴿لِلَّتِي﴾، ليدل على اختصاص هداية القرآن الكريم بهذه الصفة ﴿ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[١].

ويخبر الله سبحانه وتعالى عن القرآن العظيم بأنه يهدي للتي هي أقوم الطرق، وهي أقربها إلى الحق؛ فإن الطريق المستقيم هو أقرب خط موصل بين نقطتين، وكلما تعوج بعد[٢].

عَنْ قَتَادَة ، فِي قَوْلِهِ : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: "إِنَّ الْقُرْآنَ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ، أَمَّا دَاؤُكُمْ فَذُنُوبُكُمْ، وَأَمَّا دَوَاؤُكُمْ فَالِاسْتِغْفَارُ"[٣].

قال الشنقيطي رحمه الله: "ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَأَجْمَعُهَا لِجَمِيعِ الْعُلُومِ، وَآخِرُهَا

=

العموم، فالردُّ يشمل كل مسألة تحدث، ويُحتاج إلى معرفة حكمها!

(١) بدائع الفوائد/ تحقيق : هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد/ الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز / مكة المكرمة/ الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م/ (٢/ ٢٥٨).

(٢) الصواعق المرسلة/ تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله/ الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية/ الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ/ (٣/ ١١٢٢ – ١١٢٣).

(٣)) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٣٣١٩)، وابن أبي الدنيا في كتاب التوبة ص٨٩، والبيهقي في الجامع لشعب الإيمان (١٢/ ٤٥٨، تحت رقم ٦٧٤٥). من طريق أَبُي حَاتِمٍ، حَدَّثنا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، حَدَّثنا سَلامُ بْنُ مِسْكِينٍ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ، يَقُولُ: وذكره، وسقط قتادة من سند الأثر عند ابن الدنيا وأظنه من الناسخ أو الطابع، فإن البيهقي أورده من طريقه بذكر قتادة. وهو سند صحيح.

عَهْدًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ وَعَلَا، يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ؛ أَيِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي هِيَ أَسَدُّ وَأَعْدَلُ وَأَصْوَبُ. فَـ﴿الَّتِي﴾ نَعْتٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ. عَلَى حَدِّ قَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ فِي الْخُلَاصَةِ:

وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عُقِلْ ... يَجُوزُ حَذْفُهُ وَفِي النَّعْتِ يَقِلْ

وَقَالَ الزَّجَّاجُ(١) وَالْكَلْبِيُّ(٢) وَالْفَرَّاءُ(٣): لِلْحَالِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الْحَالَاتِ، وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَالْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ(٤).

---

(١) معاني القرآن للزجاج / تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي/ الناشر: عالم الكتب – بيروت/ الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م/ (٣/ ٢٢٩). وعبارته: "وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، أي للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد اللهَّ – عزَّ وجلَّ – أي شهادة أن لَا إلهَ إلا اللهَّ والإيمان بِرُسلِهِ، والعملُ بطاعتِه، وهذه صفة الحال التي هي أقوم الحالات"اهـ.

(٢) نقله عنه الماوردي في النكت والعيون/ تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم/ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ (٣/ ٢٣١).

(٣) معاني القرآن للفراء / تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي/ الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر/ الطبعة الأولى/ (٢/ ١١٧). وعبارته: "وقوله: ﴿إِنَّ هـذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، يقول: لشهادة أن لا إله إلا الله"اهـ

(٤) يبدو – والله اعلم – أن الشنقيطي رحمه الله اعتمد على تفسير القرطبي/ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش/ الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة/ الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م/ (١٠/ ٢٢٥)، حيث قال القرطبي رحمه الله: "وَمَعْنَى ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أَيِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَسَدُّ وَأَعْدَلُ وَأَصْوَبُ، فَـ﴿الَّتِي﴾ نَعْتٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، أَيِ الطَّرِيقَةِ إِلَى نَصٍّ أَقْوَمَ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لِلْحَالِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الْحَالَاتِ، وَهِيَ تَوْحِيدُ اللهَّ وَالْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ. وَقَالَهُ الْكَلْبِيُّ وَالْفَرَّاءُ"اهـ

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَجْمَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِيهَا جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرِ الطُّرُقِ وَأَعْدَلِهَا وَأَصْوَبِهَا، فَلَوْ تَتَبَّعْنَا تَفْصِيلَهَا عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ لَأَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِشُمُولِهَا لِجَمِيعِ مَا فِيهِ مِنَ الْهُدَى إِلَى خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"اهـ[1].

وبعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ بآيتين يقول تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (الإسراء:١٢).

(فكل ما يحتاج إليه العباد لتحصيل السعادتين من عقائد الحق، وأخلاق الصدق، وأحكام العدل، ووجوه الإحسان ...، كل هذا فصل في القرآن تفصيلا: كل فصل على غاية البيان والأحكام.

وهذا دعاء وترغيب للخلق أن يطلبوا ذلك كله من القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم في العلم والعمل، ويأخذوا منه ويهتدوا به؛ فهو الغاية التي ما وراءها غاية في الهدى والبيان)[2].

فإن قيل: كيف يصح أن القرآن يهدي للتي هي أقوم وقد يستدل به المستدل فيكون قوله غير الحق والصواب؟

فالجواب : إن (القرآن يدل على الحق والصواب ، ولكنَّ الخللَ من جهة

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع / بيروت – لبنان/ عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م/ (٣/ ١٧).

(٢) تفسير ابن باديس في مجالس التذكير في كلام الحكيم الخبير/ علق عليه وخرج آياته وأحاديثه: أحمد شمس الدين/ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان/ الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م. ص٤٩.

المُسْتَدِلِّ لا الدليل، إذ قد يكون الدليل ظاهراً ولكنَّ المستدِلَّ مُعْرِضُ، وبآداب النظر مُخِلٌّ ، فيكون العيبُ في تقصيره لا في قصور الدليل .

والقرآنُ نورٌ ؛ مَنْ استضاء به خَلَصَ من ظُلُماتِ جَهْلِه ، وخرج من غمار شَكِّه . ومَنْ رَمَدَتْ عيونُ نظرِه التبس رُشْدُه .

ويقال: الحَوَلُ ضَرَرُه أشدُّ من العَمَى ؛ لأَنَّ الأعمى يعلم أنه ليس يُبْصِر فَيَتْبَعُ قائدَه ، ولكن الأحول يتوهَّمُ الشيء شيئين فهو بتخيُّلِه وحسبانه يماري مَنْ كـــان سليماً .كذلك المبتدِعُ إذا سَلَكَ طريقَ الجَدَل، و لم يضع النظر موضـــعه بَقِـــيَ في ظُلُماتِ جَهْلِه ، وصال بباطل دعواه على خَصْمِه)[١].

ففي القرآن العظيم هداية الدنيا والآخرة.

وفي القرآن هداية العبادة والمعاملة.

وفي القرآن العظيم هداية الفرد والجماعة.

وفي القرآن العظيم هداية الأسرة والمجتمع.

وفي القرآن العظيم هداية الدولة والأمة.

وفي القرآن العظيم هداية المؤمن والكافر.

وفي القرآن العظيم هداية القوي والضعيف.

وفي القرآن الكريم هداية الحائر والمهتدي.

وفي القرآن الكريم هداية الذكر والأنثى.

وفي القرآن العظيم هداية النفس والجسد.

وهداية القرآن العظيم أقوم؛

فَأَقْوَمُ الطَّرِيقِ إِلَى أَشْرَفِ الْمَطَالِبِ هي في هذا القرآن العظيم.

---

(١) تفسير القشيري (لطائف الإشارات) المحقق: إبراهيم البسيوني/ الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر/ الطبعة: الثالثة (٢/ ٣٣٨).

ومفهوم المخالفة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـــذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾: أن أي طريق غير هداية القرآن هي طريق ضلالة معوجة، لا توصل إلى المطلــوب؛ إِنَّمَا تُوصِلُهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَا يُنْجِي مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يُوجِبَ لَهُمْ السَّــعَادَةَ فَضْلًا عَنْ حُصُولِ الْكَمَالِ لِلْأَنْفُسِ الْبَشَرِيَّةِ بِطَرِيقِهِمْ[١]؛

فَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ.

ويمكن إرجاع هداية القرآن إلى المجالات التالية:

مجال الهداية في العقيدة.

مجال الهداية في العبادات.

مجال الهداية في المعاملات، والأخلاق والآداب.

وكلها يدخل فيها الفرد والجماعة، والدولة والأمــة، والمــؤمن والكــافر، والنفس والجسد، والقوي والضعيف، والذكر والأنثى، والأسرة والمجتمع، بما يكون للدنيا والآخرة.

و الهداية في مجال العقيدة؛ بما في القرآن كله من تقرير التوحيد، بأنواعــه: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وما فيه من تقريــر حق الرسل والرسالات، وبيان ما يتعلق بالغيبيات: علم الملائكة، والجن والشياطين، والجنة والنار.

قال الشنقيطي رحمه الله: "هَدَى الْقُرْآنُ فِي (توحيد الله جل وعلا) لِلطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الطُّرُقِ وَأَعْدَلُهَا، وَهِيَ تَوْحِيدُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَفِي عِبَادَتِــهِ، وَفِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى/ المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم/ الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف/ المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية/ عام النشر:١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م (٩/ ١٥٣).

وَقَدْ دَلَّ اسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى أَنَّ تَوْحِيدَ اللَّهِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّوْحِيدِ جُبِلَتْ عَلَيْهِ فِطَرُ الْعُقَلَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ الْآيَةَ (الزُّخرف:٨٧)، وَقَالَ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٣١)، وَإِنْكَارُ فِرْعَوْنَ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ٢)، تجَاهُلٌ عَنْ عَارِفٍ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ الْآيَةَ (الإسراء: ١٠٢)، قَوْلُهُ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤)، هَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّوْحِيدِ لَا يَنْفَعُ إِلَّا بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦)، وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا.

الثَّانِي: تَوْحِيدُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي عِبَادَتِهِ، وَضَابِطُ هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ هُوَ تَحْقِيقُ مَعْنَى «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَهِيَ مُتَرَكِّبَةٌ مِنْ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، فَمَعْنَى النَّفْيِ مِنْهَا: خَلْعُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْمَعْبُودَاتِ غَيْرَ اللَّهِ كَائِنَةً مَا كَانَتْ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ كَائِنَةً مَا كَانَتْ. وَمَعْنَى الْإِثْبَاتِ مِنْهَا: إِفْرَادُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَحْدَهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ بِإِخْلَاصٍ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَأَكْثَرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ الْمَعَارِكُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأُمَمِهِمْ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ (سورة ص:٥) .

وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ الْآيَةَ (محمد:١٩)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ

قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، وَقَوْلُهُ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ (الزخرف:٤٥)، وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨)، فَقَدْ أَمَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مَحْصُورٌ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ، لِشُمُولِ كَلِمَةِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لِجَمِيعِ مَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ ؛ لِأَنَّهَا تَقْتَضِي طَاعَةَ اللَّهِ بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ. فَيَشْمَلُ ذَلِكَ جَمِيعَ الْعَقَائِدِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَمَا يَتْبَعُ ذَلِكَ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ كَثِيرَةٌ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: تَوْحِيدُهُ جَلَّ وَعَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ. وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ التَّوْحِيدِ يَنْبَنِي عَلَى أَصْلَيْنِ:

الْأَوَّلُ: تَنْزِيهُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ فِي صِفَاتِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى:١١).

وَالثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، كَمَا قَالَ بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ مَعَ قَطْعِ الطَّمَعِ عَنْ إِدْرَاكِ كَيْفِيَّةِ الِاتِّصَافِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ (طه:١١٠)"اهـ[١].

والهداية في مجال العبادات؛ في ما تضمنه القرآن الكريم من إرشاد إليها، وبيان أحكامها، وما فيه من الإحالة العامة إلى الرسول ^ في بيان القرآن الكريم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل:٤٤).

والله عزوجل يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

(١) أضواء البيان (٣/ ١٧ – ٢١).

العَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

قال ابن تيمية رحمه الله: "وَهَذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِي يَصْلُحُ بِهِ دِينُ الْإِنْسَانِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَعْدَلُ الصِّيَامِ صِيَامُ دَاوُد كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا"(١)، وَفِي رِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ: "أَفْضَلُ"(٢) وَالْأَفْضَلُ هُوَ الْأَعْدَلُ الْأَقْوَمُ.

وَهَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَهِيَ وَسَطٌ بَيْنَ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ:

أَصْحَابِ الْبِدَعِ.

وَأَصْحَابِ الْفُجُورِ أَهْلِ الْإِسْرَافِ وَالتَّقَشُّفِ الزَّائِدِ.

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾، حديث رقم (٣٤١٨)، ومسلم في كتاب الصيام، بَابُ النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا أَوْ لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقَ، وَبَيَانِ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ، وَإِفْطَارِ يَوْمٍ، حديث رقم (١١٥٩)، ولفظه عند البخاري: "أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَقُولُ: وَاللهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ " فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ وَاللهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ» قُلْتُ: قَدْ قُلْتُهُ قَالَ: «إِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ» فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ» قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ " قُلْتُ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ».

(٢) أخرجها البخاري في كتاب الصوم، بَابُ صَوْمِ الدَّهْرِ، حديث رقم (١٩٧٦)، ومسلم في كتاب الصيام، بَابُ النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ الدَّهْرِ لِمَنْ تَضَرَّرَ بِهِ أَوْ فَوَّتَ بِهِ حَقًّا أَوْ لَمْ يُفْطِرِ الْعِيدَيْنِ وَالتَّشْرِيقَ، وَبَيَانِ تَفْضِيلِ صَوْمِ يَوْمٍ، وَإِفْطَارِ يَوْمٍ، حديث رقم (١١٥٩). من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُونَ مِنْ هَذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ.

قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الْمُبْتَدِعُ فِي دِينِهِ وَالْفَاجِرُ فِي دُنْيَاهُ .

وَكَانُوا يَقُولُونَ: احْذَرُوا صَاحِبَ الدُّنْيَا أَغْوَتْهُ دُنْيَاهُ وَصَاحِبَ هَوًى مُتَّبِعٌ لِهَوَاهُ وَكَانُوا يَأْمُرُونَ بِمُجَانَبَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْفُجُورِ"اهـ[(١)].

وهداية القرآن في مجال المعاملات، ببيانه طرق الحلال، وحذرت من طرق الحرام.

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ -: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"[(٢)].

وعلى مستوى الدولة والعلاقة بين الإمام والرعية، أرست أصول تلك العلاقة، والمعاملة كيف تكون!

قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩).

خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (النساء: ٥٨- ٥٩).

قال ابن تيمية رحمه الله: "قال العلماء: نزلت الآية الأولى في ولاة الأمر عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل.

ونزلت الثانية في الرعية من الجيوش وغيرهم عليهم أن يطيعوا أولي الأمر الفاعلين لذلك في قسمهم وحكمهم ومغازيهم وغير ذلك إلا أن يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإن لم تفعل ولاة الأمر ذلك أطيعوا فيما يأمرون به من طاعة الله لأن ذلك من طاعة الله ورسوله وأديت حقوقهم إليهم كما أمر الله ورسوله: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: من الآية٢). وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل؛ فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة"اهـ[١].

وعلى مستوى التعامل مع الأفراد والجماعات أمر الإسلام بحفظ العهود والمواثيق، والوفاء بها.

قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة:١).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:٤).

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل:٩١).

---

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية/ تحقيق عزير شمس/ ص٥.

وشرع للمسلم إذا لم تكن له قدرة على مواجهة الكفار أن يدخل معهم في الصلح والسلم والمهادنة، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٦١).

قال الخازن في تفسيره عند هذه الآية: "لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بإعداد القوة وما يرهب العدو أمرهم بعد ذلك أن يقبلوا منهم الصلح إن مالوا إليه وسألوه فقال تعالى : ﴿وإن جنحوا للسلم﴾ يعني مالوا إلى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى: ﴿فاجنح لها﴾ أي مل إليها يعني إلى المصالحة .

روي عن الحسن وقتادة : إن هذه الآية منسوخة بآية السيف[1].

وقيل : إنها غير منسوخة، لكنها تتضمن الأمر بالصلح إذا كان فيه مصلحة ظاهرة فإن رأى الإمام أن يصالح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز أن يهادنهم سنة كاملة وإن كانت القوة للمشركين جاز أن يهادنهم عشر سنين ولا تجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه صالح أهل مكة مدة عشر سنين ثم إنهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة"اهـ[2] .

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره/ المحقق : سامي بن محمد سلامة/ الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع/ الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م/ (٤/ ٨٤) عند هذا الآية: "وقول ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، وعكرمة، والحسن، وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في "براءة": ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ الآية (التوبة:٢٩) فيه نظر أيضًا؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفًا، فإنه تجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم"اهـ.

(٢) تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)/ دار المعرفة/ (٢/ ١٩٥) .

ويدل على جواز الصلح مع الكفار، إذا كان في ذلك مصلحة أو كان العدو كثيفاً قوله تعالى: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد:٣٥).

قال ابن كثير رحمه الله: "﴿فَلا تَهِنُوا﴾ أي: لا تضعفوا عن الأعداء، ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ أي: المهادنة والمسالمة، ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عَدَدِكم وعُدَدِكُمْ؛ ولهذا قال: ﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأعْلَوْنَ﴾ أي: في حال علوكم على عدوكم، فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأى الإمام في المعاهدة والمهادنة مصلحة، فله أن يفعل ذلك، كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة، ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين، فأجابهم إلى ذلك"اهـ[١].

وأمر سبحانه بحفظ العهد حتى وإن خاف منهم خيانة، وأمر بأن يشعر الكفار بنبذ العهد إليهم، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (الأنفال:٥٨).

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله: "ويجوز عقدها (أي الهدنة) مطلقاً ومؤقتاً. والمؤقت لازم من الطرفين يجب الوفاء به، ما لم ينقضه العدو.

و لا ينقض بمجرد خوف الخيانة في اظهر قولي العلماء.

وأمّا المطلق فهو عقد جائز يعمل الإمام فيه بالمصلحة"اهـ[٢].

بل وأمر بحفظ العهد والميثاق، في مقابل نصرة المستضعفين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ

---

(١) تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) / طيبة (٧/ ٣٢٣).

(٢) الاختيارات الفقهية / دار المعرفة، بيروت، لبنان/ ص٣١٥.

مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال:٧٢).

فالكافر إذا دخلنا معه في عقد الصلح، وجب علينا حفظ الصلح والعهد؛ ومراعاة أحكامه، بحسب ما تشارطنا معه.

وعلى مستوى العلاقات الأسرية، بيّن حقوق الوالدين، وأرشد إلى حق الأولاد، وأوضح إلى ما يحل المشكلات الزوجية، قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء:٣٥). وعند تعذر الصلح أباح الطلاق، والخلع، قال تبارك وتعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة:٢٢٩).

وهدايته في مجال الأخلاق والآداب، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠)،

وَقَوْلُهُ تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة:٨٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:١٥١)، وَقَوْلُهُ تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا

بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٣).

وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ الْأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالتَّفَضُّلِ بِالْإِحْسَانِ، قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل:١٢٦)، قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ فَهَذَا عَدْلٌ، ثُمَّ دَعَا إِلَى الْإِحْسَانِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشُّورى:٤٠).

قَوْلُهُ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، فَهَذَا عَدْلٌ.

ثُمَّ دَعَا إِلَى الْإِحْسَانِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

حال الناس من هداية القرآن العظيم

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ

رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ.

يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ"(١).

الشاهد : قوله في الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ".

قال ابن رجب رحمه الله : "هَذَا يَقْتَضِي أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ مُفْتَقِرُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي جَلْبِ مَصَالِحِهِمْ، وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ فِي أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأَنَّ الْعِبَادَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَفَضَّلِ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْهُدَى وَالرِّزْقِ، فَإِنَّهُ يُحْرَمُهُمَا فِي الدُّنْيَا، وَمَنْ لَمْ يَتَفَضَّلِ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ أَوْبَقَتْهُ خَطَايَاهُ فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (الكهف: ١٧)، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ.

... ...

وَقَدِ اسْتَدَلَّ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَفَرُّدِ اللَّهِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا أَشْرَكَ مَعَهُ فَبَاطِلٌ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الآداب والبر والصلة، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم (٢٥٧٧).

* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الشُّعَرَاءِ: ٧٥ – ٨٢)، فَإِنَّ مَنْ تَفَرَّدَ بِخَلْقِ الْعَبْدِ وَبِهِدَايَتِهِ وَبِرِزْقِهِ وَإِحْيَائِهِ وَإِمَاتَتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَبِمَغْفِرَةِ ذُنُوبِهِ فِي الْآخِرَةِ، مُسْتَحِقٌّ أَنْ يُفْرَدَ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ وَالسُّؤَالِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ وَالِاسْتِكَانَةِ لَهُ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الرُّومِ: ٤٠).

وَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَسْأَلَهُ الْعِبَادُ جَمِيعَ مَصَالِحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْكُسْوَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا يَسْأَلُونَهُ الْهِدَايَةَ وَالْمَغْفِرَةَ.

... وَقَوْلُهُ " كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ" قَدْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ مُعَارِضٌ لِحَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ" وَفِي رِوَايَةٍ: "مُسْلِمِينَ فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ"[(١)]!

وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛

فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ بَنِي آدَمَ، وَفَطَرَهُمْ عَلَى قَبُولِ الْإِسْلَامِ، وَالْمَيْلِ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَالتَّهَيُّؤِ لِذَلِكَ، وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ بِالْقُوَّةِ، لَكِنْ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ تَعْلِيمِ الْإِسْلَامِ بِالْفِعْلِ، فَإِنَّهُ قَبْلَ التَّعْلِيمِ جَاهِلٌ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (النَّحْلِ: ٧٨)، وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (الضُّحَى: ٧)، وَالْمُرَادُ: وَجَدَكَ غَيْرَ عَالِمٍ بِمَا عَلَّمَكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشُّورَى: ٥٢)، فَالْإِنْسَانُ يُولَدُ مَفْطُورًا عَلَى

---

(١) أخرجه مسلم فِي كتاب الجَنَّة وصفة نعيمها، باب: الصِّفَات الَّتِي يعرف بِهَا فِي الدنيا أهل الجَنَّة، حديث رقم (٢٨٦٥).

قَبُولِ الْحَقِّ، فَإِنْ هَدَاهُ اللَّهُ سَبَّبَ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ الْهُدَى، فَصَارَ مُهْتَدِيًا بِالْفِعْلِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُهْتَدِيًا بِالْقُوَّةِ، وَإِنْ خَذَلَهُ اللَّهُ، قَيَّضَ لَهُ مَنْ يُعَلِّمُهُ مَا يُغَيِّرُ فِطْرَتَهُ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ"(١).

وَأَمَّا سُؤَالُ الْمُؤْمِنِ مِنَ اللَّهِ الْهِدَايَةَ، فَإِنَّ الْهِدَايَةَ نَوْعَانِ:

هِدَايَةٌ مُجْمَلَةٌ وَهِيَ الْهِدَايَةُ لِلْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَهِيَ حَاصِلَةٌ لِلْمُؤْمِنِ.

وَهِدَايَةٌ مُفَصَّلَةٌ، وَهِيَ هِدَايَةٌ إِلَى مَعْرِفَةِ تَفَاصِيلِ أَجْزَاءِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَإِعَانَتِهِ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ، وَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ لَيْلًا وَنَهَارًا؛

وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ أَنْ يَقْرَءُوا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِمْ قَوْلَهُ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الْفَاتِحَةِ: ٦).

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ بِاللَّيْلِ: "اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"(٢).

---

(١) أخرج البخاري فِي كتاب الْجَنَائز، باب: إذا أسلم الصَّبِي فمات هل يصلى عليه (١٣٥٨)، ومسلم فِي كتاب القدر، باب: مَعنَى كل مَوْلود يولد على الفطرة، حديث رقم (٢٦٥٨). عَنْ أَبِي سَلَمَة بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ - صلى الله عليه وسلم -: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ؛ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ". ولفظ البخاري: "كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ".

(٢) يشير إلى ما أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، حديث رقم (٧٧٠)، من طريق أَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: "اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ،

=

وَلِهَذَا يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ، فَيُقَالُ لَهُ: "يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ" فَيَقُولُ: "يَهْدِيكُمُ اللَّـهُ" كَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ بِذَلِكَ(١)، وَإِنْ أَنْكَرَهُ مَنْ أَنْكَرَهُ مِنْ فُقَهَاءِ الْعِرَاقِ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُدْعَى لَهُ بِالْهُدَى، وَخَالَفَهُمْ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ اتِّبَاعًا لِلسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ.

وَقَدْ "أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ السَّدَّادَ وَالْهُدَى"(٢).

وَعَلَّمَ الْحَسَنَ أَنْ يَقُولَ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ(٣): "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ

=

وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ".

(١) من ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب الأدب، بَابُ إِذَا عَطَسَ كَيْفَ يُشَمَّتُ، حديث رقم (٦٢٢٤)، من طريق أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ".

(٢) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ، حديث رقم (٢٧٢٥) من طريق عَاصِمِ بْنِ كُلَيْبٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ".

(٣) ولفظ الحديث عَنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ - رضي الله عنهما -: "عَلَّمَنِي رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ (إِذَا فَرَغْتُ مِنْ قِرَاءَتِي) فِي قُنُوتِ الوِتْرِ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ؛ إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، (وَلَا مَنْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ)» أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، حديث رقم (١٤٢٥) والسياق له، وأخرجه النسائي في كتاب قيام الليل، وتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر (٣/ ٢٤٨) بنحوه، وأخرجه الترمذي في كتاب الصلاة، باب ما

=

هَدَيْتَ"""اهـ[١].

والمقصود أن الحديث يشير إلى أن الناس على قسمين من الهداية:

القسم الأول : من ضل عن هداية الله جل وعلا.

القسم الثاني : من هداه الله تعالى.

والقرآن العظيم في مواضع كثيرة يقرر هذا المعنى؛

فبين الله تبارك وتعالى أن قضية الهداية منذ إنزال آدم عليه الصلاة والسلام من السماء؛ والناس فيها على حالين، وهما:

حال من يتبع ما أنزل الله جل وعلا.

وحال من يعرض عن هدايته سبحانه وتعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٣٨).

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ٣٠).

ويقول تبارك وتعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزُّمر:٢٣).

=

جاء في القنوت في الوتر، حديث رقم (٤٦٤)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء في القنوت في الوتر، حديث رقم (١١٧٨)، وأخرجه ابن مندة في «كتاب التوحيد» (٢/ ١٩١) حديث رقم (٣٤٣)، والزيادتان له. والحديث صححه العلامة أحمد شاكر في «تحقيقه للترمذي» (٢/ ٣٢٩)، والعلامة الألباني في «إرواء الغليل» (٢/ ١٧٢)، ومُحقق «جامع الأصول» (٥/ ٣٩٢).

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٦ – ٤٠). باختصار.

وهداية القرآن العظيم تتحقق بالاستجابة للرسول ^، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص:٥٠).

وبعد بعثته صلى الله عليه وسلم لا يسع أحد من أهل الكتاب إلا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وما جاء به، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة:١٢٠).

ووعد الله جل وعلا الذين يتبعون هداية القرآن العظيم بالأمان والسعادة؛ يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٣٨).

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٦٢).

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف:٣٥).

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ"(١).

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٥/ ٣٨٥رقم٨٩٩٣)، والدارقطني في سننه (٤/ ٢٤٥)، في المستدرك (علوش ١/ ٢٨٤، تحت رقم ٣٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١١٤)، وقال في مجمع الزوائد (٩/ ١٦٣): "رواه البزار وفيه صالح بن موسى الطلحي وهو ضعيف"اهـ. واللفظ للحاكم. قلت: في السند عند جميعهم صالح بن موسى، لكن =

والإعراض عن ذكر الله جل وعلا، وأوله القرآن العظيم سبب للضلال والخسران المبين، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه: ١٢٤ – ١٢٦) .

وبين الله جل وعلا أن المتبعين لهدى القرآن الكريم على أقسام، ووعدهم جميعهم بأن يذهب عنهم الحزن، ويسلمهم من خوف العذاب؛

قال تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكتاب الذين اصطفينا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بالخيرات بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الفضل الكبير * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ* وَقَالُواْ الحمد لِلَّهِ الذي أَذْهَبَ عَنَّا الحزن إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُور * الذي أَحَلَّنَا دَارَ المقامة مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (فاطر: ٣٢ – ٣٥).

قال الشنقيطي رحمه الله: "فَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ إِيرَاثَ

=

أورد الحاكم والبيهقي في الموضع نفسه عن ابن عباس حديثاً جاء فيه: "يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – "، وهو شاهد صالح. وجاء في الموطأ (٢/ ٨٩٩، رقم١٥٩٤)، في كتاب الجامع باب النهي عن القول بالقدر: "عَنْ مَالِك: أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللهَّ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ". أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٣١)، وفي جامع بيان العلم (٢/ ٥٥رقم٧٢٤ – زمرلي). قال ابن عبدالبر في التمهيد (٢٤/ ٣٣١): "وهذا ... محفوظ معروف مشهور عن النبي صلى الله عليه و سلم عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد وروى في ذلك من أخبار الآحاد أحاديث"اهـ.

هَذِهِ الْأُمَّةِ لِهَذَا الْكِتَابِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

الْأَوَّلُ: الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ وَهُوَ الَّذِي يُطِيعُ اللَّهَ، وَلَكِنَّهُ يَعْصِيهِ أَيْضًا فَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة : ١٠٢) .

وَالثَّانِي: الْمُقْتَصِدُ وَهُوَ الَّذِي يُطِيعُ اللَّهَ، وَلَا يَعْصِيهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَتَقَرَّبُ بِالنَّوَافِلِ مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَالثَّالِثُ: السَّابِقُ بِالْخَيْرَاتِ: وَهُوَ الَّذِي يَأْتِي بِالْوَاجِبَاتِ وَيَجْتَنِبُ الْمُحَرَّمَاتِ وَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِالطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ وَاجِبَةٍ، وَهَذَا عَلَى أَصَحِّ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ الظَّالِمِ لِنَفْسِهِ، وَالْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّ إِيرَاثَهُمُ الْكِتَابَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ مِنْهُ عَلَيْهِمْ.

ثُمَّ وَعَدَ الْجَمِيعَ بِجَنَّاتِ عَدْنٍ وَهُوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ (فاطر : ٣٣)، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (فاطر : ٣٥).

وَالْوَاوُ فِي ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ شَامِلَةٌ لِلظَّالِمِ، وَالْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ عَلَى التَّحْقِيقِ؛

وَلِذَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: حُقَّ لِهَذِهِ الْوَاوِ أَنْ تُكْتَبَ بِمَاءِ الْعَيْنَيْنِ.

فَوَعْدُهُ الصَّادِقُ بِجَنَّاتِ عَدْنٍ لِجَمِيعِ أَقْسَامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَوَّلُهُمُ الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ أَرْجَى آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ خَارِجٌ عَنِ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ، فَالْوَعْدُ الصَّادِقُ بِالْجَنَّةِ فِي الْآيَةِ شَامِلٌ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَلِذَا قَالَ بَعْدَهَا مُتَّصِلًا بِهَا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ إِلَى قَوْلِهِ: فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (فاطر: ٣٦ – ٣٧) .

وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي سَبَبِ تَقْدِيمِ الظَّالِمِ فِي الْوَعْدِ بِالْجَنَّةِ عَلَى الْمُقْتَصِدِ

وَالسَّابِق؛

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدَّمَ الظَّالِمَ لِئَلَّا يَقْنُطَ، وَأَخَّرَ السَّابِقَ بِالْخَيْرِ لِئَلَّا يُعْجَبَ بِعَمَلِهِ فَيَحْبَطَ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدَّمَ الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ الظَّالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، لِأَنَّ الَّذِينَ لَمْ تَقَعْ مِنْهُمْ مَعْصِيَةٌ أَقَلُّ مِنْ غَيْرِهِمْ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ (سورة ص: ٢٤)"اهـ[١].

والحاصل :

أن حال الناس في الهداية على قسمين :

القسم الأول : من ضل عن الهدى.

القسم الثاني : من اهتدى، وهم على أحوال :

- السابق بالخيرات .
- المقتصد.
- الظالم لنفسه.

والله الموفق.

---

(١) أضواء البيان (٥/ ٤٨٩ – ٤٩٠).

نزول القرآن على سبعة أحرف

تواتر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"[(١)].

والمراد بالحرف القراءة التنزيلية التي نزل بها جبريل عليه السلام.

حيث يختلف كل حرف عن الآخر في كلمات في بعض الآيات، فتأتي في حرف على كلمة، وفي أخرى كلمة غيرها على معناها ، مثل: أقبل، وهلم، وتعال.

فهي ترجع إلى اللغات .

والحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف، التخفيف والتهوين على الأمة على الأمة .

أخرج مسلم تحت رقم (٨٢١) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ، قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ.

فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ

ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ.

فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ.

ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ.

فَقَالَ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ.

ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا".

أضاة بني غفار : مكان في طرف مكة ، ومكان في طرف المدينة، وهو

---

(١) حيث متواتر. انظر: «نظم المتناثر» ص: [١١١]، وذكر فيه أنه روي عن أربعة وعشرين صحابيًا.

مجرى مائي كانت تنزل عنده هذه القبيلة، إذا جــاءت إلى مكــة أو إلى المدينــة. والظاهر أن المراد هنا أضاة بني غفار التي في المدينة.

قال ابن حجر: «وأضاة بني غفار: هي بفتح الهمزة والضاد المعجمة بغــير همزة وآخره تاء تأنيث هو مستنقع كالغدير وجمعه «أضا» كـــ «عصا».

وقيل بالمد والهمز مثل إناء.

وهو موضع بالمدينة النبوية ينسب إلى بني غفار بكسر المعجمــة وتخفيــف الفاء؛ لأنهم نزلوا عنده»اهـــ[١].

كذا جزم الحافظ ابن حجر أنه موضع بالمدينة.

ومن قبله البكري[٢] وساق حديث أبي بن كعب مشيرًا إلى أنــه الموضــع المقصود في الحديث.

وقد ضبطه القاضي عياض[٣]ونص على أنها موضع بالمدينة.

وكذلك قال السمهودي[٤] نقلًا عن «المشارق»، وذكر السمهودي منازل بني غفار في المدينة وعدَّ منها: «أضاة بني غفار»[٥]؛

لكن ذكر السمهودي أن بمكة موضعًا يسمى كذلك «أضاة بني غفار» في مادة «تناضب» من فصل أسماء بقاع المدينة[٦].

---

(١) فتح الباري (٩/ ٢٨).

(٢) في «معجم ما استعجم» (١/ ١٦٤).

(٣) في «المشارق» (١/ ٤٧).

(٤) في «وفاء الوفاء» (٤/ ١١٢٧).

(٥) وفاء الوفا (٢/ ٧٥٧ - ٧٥٩).

(٦) وفاء الوفا (٤/ ١١٦٣).

وجزم ياقوت[1] أن أضاه بني غفار موضع قريب من مكة فوق «سَـــرِف» قرب «التَنَاضُب».

وذكر الأزرقي[2] أثناء حديثه عن مقبرة «الحصاص» أن قبر ميمونة بنـــت الحارث الهلالية زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – وخالـــة ابـــن عبـــاس، وأم المؤمنين، على الثنية التي بين وادي سرف وبين أضاة بني غفار (ماتـــت ميمونـــة بسرف فدفنت هنالك) وصرح بأن أضاة بني غفار هي التي ذكرت في حديث أبي بن كعب هذا.

قلت: سرف بفتح السين وكسر الراء المهملة في طريق الذاهب من مكة إلى المدينة المنورة بعد التنعيم قريبًا من حي «النورية» اليوم.

والذي يتحصل من كلامهم – رحمهم الله تعالى – : أن «أضاة بني غفار» موضعين أحدهما في مكة والآخر في المدينة النبوية، كما قيل في «جبل ثور».

والظاهر أن المراد في حديث أبي بن كعب هو الموضع الذي في المدينة، كما جزم القاضي عياض والبكري وابن حجر وغيرهم لأنه لم يعرف في العهد المكـــي ذلك التنوع في القراءات والله أعلم.

جمع عثمان بن عفان الناس على قراءة واحدة تنزيلية، وما يوافق رسمهـــا من سائر الأحرف:

قال البغوي (ت: ٥١٦هـــ): «ثم إنَّ أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كانوا يقرؤون القرآن بعده على الأحرف السبعة التي أقرأهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإذن الله – عز وجل –، إلى أن وقع الاختلاف بين القراء

---

(١) في «معجم البلدان» (١/ ٢١٤).

(٢) في «تاريخ مكة» (٢/ ٢١٣).

في زمن عثمان، وعظم الأمر فيه وكتب الناس بذلك من الأمصار إلى عثمان وناشدوه الله - تعالى - في جمع الكلمة، وتدارك الناس قبل تفاقم الأمر، وقدم حذيفة بن اليمان[1] من غزوة أرمينية[2] فشافهه بذلك، فجمع عثمان عند ذلك المهاجرين والأنصار وشاورهم في جمع القرآن في المصاحف على حرف واحد ليزول بذلك الخلاف وتتفق الكلمة، واستصوبوا رأيه وحضوه عليه ورأوا أنه من أحوط الأمور للقرآن»اهـ[3].

عن ابن شهاب[4] عن أنس بن مالك[5]: «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان[6] مع أهل العراق،

---

(١) حذيفة بن اليمان، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين وأبوه صحابي أيضًا، أمين سر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مات في أول خلافة علي بن أبي طالب سنة [٣٦هـ] «الإصابة» (١/ ٣١٧).

(٢) بكسر أوله ويفتح، وسكون ثانيه وكسر الميم، وياء ساكنة وكسر النون وياء خفيفة مفتوحة. «معجم البلدان» (١٥٩ - ١٦٠).

منطقة جبلية في (شمال شرق) آسيا بين الأناضول وأنجاد إيران جنوبي القوقاس وهي أنجاد واسعة، تتخللها سلاسل جبال شاهقة القوقاس وطوروس وكردستان، تنبع فيها أنهر عديدة أهمها: أراكس ودجلة والفرات وكورا. «المنجد في الأعلام» ص: [٣٩].

وهي من الجمهوريات المستقلة حديثًا عما كان يسمى بـ «الاتحاد السوفيتي».

(٣) «شرح السنة» (٤/ ٥٢٣).

(٤) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبو بكر، فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه مات سنة [١٢٥هـ]. «التقريب» ص: [٥٠٦].

(٥) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خدمه عشر سنين مشهور، مات اثنتين وقيل: ثلاث وتسعين. «التقريب» ص: [١١٥].

(٦) بالفتح ثم السكون، وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم، وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء، ومد آخرون الهمزة مع ذلك. «معجم البلدان» (١/ ١٢٨ - ١٢٩).

=

فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هـــذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك.

فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيـــد بـــن ثابـــت وعبـــد الله بـــن الزبير[١] وسعيد بن العاص[٢] وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٣] فنسخوها.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابـــت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم.

ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمـــان الصـــحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

=

وهي الآن إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي، وتقع على بحر قزوين، وحدود إيران، تغطي شماليها جبال القوقاس منطقة نفط غنية. «المنجد في الأعلام» ص: [٣٣].

وقد استقلت حديثًا هي وعدة جمهوريات إسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي زعيم الإلحاد العالمي.

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو بكر وأبو خبيب بالمعجمة مصغرا، وكان أول مولود في الإسلام بالمدينة من المهاجرين، ولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل سنة [٧٣هـ]. «التقريب» ص: [٣٠٣].

(٢) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعمر سعيد تسع سنين، وذكر في الصحابة، وولي إمرة الكوفة لعثمان وامرة المدينة لمعاوية ومات سنة [٥٨هـ] وقيل غير ذلك. «التقريب» ص: [٢٧٣].

(٣) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو محمد المدني، له رؤية وكان من كبار ثقات التابعين مات سنة [٤٣هـ]. «التقريب» ص: [٣٣٨].

قال ابن شهاب وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت[١] سمع زيد بن ثابت قال: «فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري[٢]: [ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ] [الأحزاب: ٢٣]. فألحقناها في سورتها في المصحف»[٣].

وأورد هنا روايتين تلقيان مزيدًا من الضوء على الحديث السابق:

عن مصعب بن سعد[٤] قال: «قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة، وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون: قراءة أبي وقراءة عبد الله.

يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك.

فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به».

وكان الرجل يجيء بالورقة، والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة.

ثم دخل عثمان فدعاهم رجلًا رجلًا فناشدهم لسمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو أملاه عليك؟. فيقول: نعم.

---

(١) خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبو زيد المدني ثقة فقيه مات سنة [١٠٠هـ] وقيل قبلها. «التقريب» ص: [١٨٦].

(٢) خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الخطمي، بفتح المعجمة أبو عمارة المدني، ذو الشهادتين، من كبار الصحابة، شهد بدرًا وقتل مع علي بن أبي طالب بصفين. «التقريب» ص: [١٩٣].

(٣) **حديث صحيح**: أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه وسقته هنا بسياقه له في كتاب «فضائل القرآن» باب: «جمع القرآن» حديث رقم: (٤٩٨٧، ٤٩٨٨)، وأخرجه الترمذي في كتاب: «التفسير» باب: ومن سورة التوبة» رقم: [٣١٠٣].

(٤) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري، أبو زرارة المدني ثقة، مات سنة [١٠٣هـ]. «التقريب» [٥٣٣].

فلما فرغ من ذلك قال: من أكتب الناس؟.

قالوا: كاتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن ثابت.

قال: فأي الناس أعرب؟.

قالوا: سعيد بن العاص.

قال: فليمل سعيد وليكتب زيد.

فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد يقول: قد أحسن»[١].

عن سويد بن غفلة[٢] قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: «يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرًا أو قولوا له خيرًا في المصاحف وإحراق المصاحف.

فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعًا.

فقال (يعني: عثمان بن عفان): ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفرًا.

قلنا: فما ترى؟.

قال: نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون

---

(١) **إسناد صحيح**: أخرجه ابن أبي داود في «المصاحف» ص: [٣١].

وصححه ابن كثير في «فضائل القرآن» ص: [٢٦].

فائدة: قول: «ليمل سعيد وليكتب زيد» كأن هذا كان في ابتداء الأمر، ثم احتاجوا إلى من يساعد في الكتابة بحسب الحاجة إلى عدد من المصاحف التي ترسل إلى الآفاق، فأضافوا إلى زيد من ذكر في حديث أنس الذي سبق آنفا - في الصلب - ثم استظهروا بأبي بن كعب في الإملاء. «فتح الباري» (٩/ ١٩).

(٢) سويد بن غفلة، بفتح المعجمة والفاء، أبو أمية الجعفي مخضوم من كبار التابعين قدم المدينة يوم دفن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان مسلمًا في حياته، ثم نزل الكوفة ومات سنة [٨٠هـ]. «التقريب» ص: [٢٦٠].

اختلاف (وفي رواية: فقد رأيت أن أجمعهم على قراءة واحدة).

قلنا: فنعْمَ ما رأيت».

قال: فقيل: أي الناس أفصح وأي الناس أقرأ؟.

قالوا: أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرأهم زيد بن ثابت.

فقال: ليكتب أحدهم ويملي الآخر.

ففعلا وجمع الناس على مصحف.

قال: قال علي: والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل»(١).

هل تحتوي المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة؟:

قال ابن الجزري(٢): إذا قلنا: إن المصاحف العثمانية محتوية على جميع الأحرف السبعة التي أنزلها الله - تعالى - كان ما خالف الرسم يقطع بأنه ليس من الأحرف السيعة وهذا قول محظور؛ لأن كثيرًا مما خالف الرسم قد صح عن الصحابة - رضي الله عنهم، وعن النبي - صلى الله عليه وسلم -

والحق ما تحرر من كلام الإمام محمد بن جرير الطبري(٣) وأبي عمر بن عبد

(١) **أثر صحيح**: أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص: [٢٢٠] رقم: [٥٤٨] مقتصرًا على قول علي: «والله لو وليت ...» وأخرجه ابن أبي داود في كتاب: «المصاحف» ص: (٢٩ - ٣٠) وأبو عمرو الداني في «المقنع» ص: [١٨] مقتصرًا على قول علي: «والله لو وليت ...» وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٢).

وصححه ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ١٨)، والسيوطي في «الإتقان» (أبو الفضل) (١/ ١٧٠)، و«محقق شرح السنة» (٤/ ٥٢٥)

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبو الخير شمس الدين العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي الشهير بابن الجزري شيخ الإقراء في زمانه (٧٥١ - ٨٣٣هـ). «الأعلام» (٧/ ٤٥).

(٣) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر إمام في «التفسير والقراءات والحديث والفقه والتاريخ» (٢٢٤ - ٣١٠هـ). «الأعلام» (٦/ ٦٩).

البر[١] وأبي العباس المهدوي[٢] ومكي بن أبي طالب القيسي[٣] وأبي القاسم الشاطبي[٤] وابن تيمية وغيرهم وذلك أن المصاحف التي كتبت في زمن أبي بكر - رضي الله عنه - كانت محتوية على جميع الأحرف السبعة، فلما كثر الاختلاف وكاد المسلمون يكفر بعضهم بعضا أجمع الصحابة على كتابة القرآن العظيم على العرضة الأخيرة التي قرأها النبي - صلى الله عليه وسلم - على جبريل عام قبض، وعلى ما أنزل الله - تعالى - دون ما أذن فيه، وعلى ما صح مستفاضا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - دون غيره، إذ لم تكن الأحرف السبعة واجبة على الأمة وإنَّما كان ذلك جائزًا لهم مرخصا فيه، وقد جعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاره.

قالوا: فلما رأى الصحابة أن الأمة تتفرق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، اجتمعوا على ذلك اجتماعًا سائغًا، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة و لم يكن في ذلك ترك واجب ولا فعل محظور»اهـ[٥].

---

(١) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي أبو عمر حافظ محدث مؤرخ نسابة أديب (٣٦٨ - ٤٦٣هـ). «الأعلام» (٨/ ٢٤٠).

(٢) أحمد بن عمار بن أبي العباس، أبو العباس المهدوي نسبة إلى المهدية بالمغرب، مفسر مقريء (ت: بعد ٤٣٠هـ). «غاية النهاية» (١/ ٩٢).

(٣) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار الأندلسي القيسي أبو محمد، مقريء عالم بالتفسير والعربية (٣٥٥ - ٤٣٧هـ). «الأعلام» (٧/ ٢٨٦).

(٤) القاسم بن فِيُرّة بن خلف بن أحمد الرّعيني، أبو محمد وأبو القاسم الشاطبي، إمام القراء صاحب «حرز الأماني» قصيدة نظم فيها التسير للداني مع زيادات (٥٣٨ - ٥٩٠هـ). «الأعلام» (٥/ ١٨٠).

(٥) «المنجد» (٢١ - ٢٢).

جمع الناس على حرف من مناقب عثمان – رضي الله عنه –.

قال ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ): «وهذا أيضًا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان – رضي الله عنه –؛ فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء، وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة والله أعلم.

وإنما روي عن عبد الله بن مسعود[(١)] شيء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف، وأمر أصحابه بغل[(٢)] مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عدا المصحف الإمام، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق[(٣)] حتى قال علي بن أبي طالب: «لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا»[(٤)].

---

(١) عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمة، وأمره عمر بن الخطاب على الكوفة ومات سنة [٣٢هـ] أو التي بعدها بالمدينة. «التقريب» ص: [٣٢٣].

(٢) بكسر الباء وفتح العين المعجمة وتشديد اللام وخفضها، من الغلول، أي: اخفوا مصاحفكم ولا تظهروها حتى لا تحرق. «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٣٧٥ – ٣٧٧).

(٣) ساق جملة من هذه الروايات في تغضب ابن مسعود في كتاب: «المصاحف» ص: (١٨ – ٢٥)، وأخرجها الترمذي في كتاب: «التفسير» باب: ومن سورة التوبة رقم: [٣١٠٣]، وصححها الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/ ٦٠).
وبالسند نفسه أخرج الترمذي وأبو عبيد في «فضائل القرآن» ص: [٢١٦] رقم: [٥٤٢] عن الزهري أنه قال تعقيبًا على مقالة ابن مسعود: «فبلغني أن ذلك كره من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل الصحابة».
قال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ١٩): «والعذر لعثمان في ذلك أنه فعله بالمدينة وعبد الله بالكوفة ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر، وأيضًا فإن عثمان إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبي بكر وأن يجعلها مصحفًا واحدًا وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبي بكر هو زيد بن ثابت لكونه كان كاتب الوحي فكانت له في ذلك أولية ليست لغيره»اهـ.

(٤) أثر صحيح: تقدم تخريجه قريبًا بنحوه.

فاتفق الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على أن ذلك من مصالح الدين (يعني: جمع القرآن)[١] وهم الخلفاء الذين قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي** ...»[٢].»اهـ[٣].

الأحرف السبعة غير القراءات السبعة.

يكفي في بيان ذلك أن يعلم أن القراءات المشهورة إنما هي اختيارات أولئك الأئمة القراء – وكانوا بعد عصر النبوة – وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات المنقولة عن رسول – صلى الله عليه وسلم – أو صحابته – رضوان الله عليهم – ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزمه طريقة، ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه؛ فقيل: حرف نافع، حرف ابن كثير بمعنى الوجه من القراءة الذي اختاره نافع للإقراء به، والوجه من القراءة الذي اختاره ابن كثير للإقراء به، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكر بل سوغه وجوزه، إذ مرجع ذلك كله إلى النقل الصحيح الموافق لرسم المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه وكل واحد من هؤلاء السبعة روي اختياران أو أكثر؛ وكل صحيح[٤].

قال مكي بن أبي طالب (ت:٤٣٧هـ): «فأما من ظن أن قراءة كل واحد

---

(١) انظر: كتاب: «المصاحف» لابن أبي داود ص: [٢٥] و«فضائل القرآن» لابن كثير ص: [٢٦].

(٢) حديث صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦- ١٢٧) وأبو داود في «سننه» كتاب: «السنة» باب: «لزوم السنة» حديث رقم: [٤٦٠٧]، والترمذي في كتاب: «العلم» حديث رقم: [٢٦٧٦]، وابن ماجه في «المقدمة» باب: «اتباع سنة الخلفاء الراشدين» حديث رقم: [٤٢].

وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣٤١ – ٣٤٢)، و«صححه محقق جامع الأصول» (١/ ٢٧٩).

(٣) «فضائل القرآن» لابن كثير ص: [٢٠].

(٤) مستفاد من كلام القرطبي في تفسيره (١/ ٤٦) بتصرف وزيادة.

من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبي عمرو، أحد الحروف السبعة التي نص النبي – صلى الله عليه وسلم – عليها، فذلك منه غلط عظيم؛ لأن فيه إبطالًا أن يكون ترك العمل بشيء من الأحرف السبعة.

وأن يكون عثمان ما أفاد فائدة بما صنع من حمل الناس على مصحف واحد وحرف واحد.

ويجب منه أن يكون ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكًا؛ إذ قد استولوا على السبعة الأحرف عنده فما خرج عن قراءاتهم فليس من السبعة عنده.

ويجب من هذه القول أن نترك القراءة بما روي عن أئمة هؤلاء السبعة من التابعين والصحابة مما يوافق خط المصحف مما لم يقرأ به هؤلاء السبعة.

ويجب منه ألا تروى قراءة عن ثامن فما فوقه؛ لأن هؤلاء السبعة – عند معتقد هذا القول – قد أحاطت قراءتهم بالأحرف السبعة.

وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرًا من هؤلاء السبعة.

على أنه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة واطرحهم، قد ترك أبو حاتم[١] وغيره ذكر حمزة، والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلًا من الأئمة ممن هو فوق هؤلاء السبعة.وكذلك زاد الطبري (ت: ٣١٠هـ) في كتاب القراءات له على هؤلاء السبعة نحو خمسة عشر رجلًا.

وكذلك فعل أبو عبيد (ت: ٢٢٤هـ) وإسماعيل القاضي (ت: ٢٨٢هـ).

فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة التي نص عليها النبي – صلى الله عليه وسلم –؟ هذا خطأ

(١) سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد أبو حاتم السجستاني إمام البصرة في النحو والقراءة واللغة والعروض (ت: ٢٥٥هـ). «غاية النهاية» (١/ ٣٢٠).

عظيم، أكان ذلك بنص من النبي – صلى الله عليه وسلم – أم كيـــف ذلـــك؟» اهــ[1].

وقال أبو شامة (ت: ٦٦٥هــ): «وقد ظن جماعة ممن لا خبرة له بأصـــول هذا العلم أن قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبي – صلى الله عليـــه وسلم – بقوله: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» فقراءة كل واحد من هـــؤلاء حرف من تلك الحروف ولقد أخطأ من نسب إلى ابن مجاهد أنه قال ذلك»اهــ[2].

وأختم هذه المسألة[3] بقول ابن تيمية (ت: ٧٢٨هــ) – رحمـــه الله –: «لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة.

بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر ابن مجاهد وكان علـــى رأس المئة الثالثة ببغداد، فإنَّه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين والشام؛ إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره والحديث والفقه، من الأعمال الباطنة والظاهرة، وسائر العلوم الدينية، فلمـــا أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقًـــا لعدد الحروف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلمـــاء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هـــم الـــذين لا

---

(١) «الإبانة عن معاني القراءات» ص: (٣٨/ ٤١).

٢) «المرشد الوجيز» ص: [١٤٦].

٣) وقد أطال في تقرير ذلك وحشد له النقول مكي بن أبي طالب – رحمه الله – في كتابه «الإبانة» ص: (٣٣ – ٤٩)، ومواضع أخرى وأبو شامة في كتابه: «المرشد الوجيز» ص: (١٤٦ – ١٦٧)، وابن الجزري في كتابه «النشر» (١/ ٣٦ – ٤٧) والسيوطي في كتابه: «الإتقان» (أبو الفضل) (١/ ٢٢٣ – ٢٢٦).

يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم.

ولهذا قال من قال من أئمة القراء: لولا ابن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قراء عصره في زمانه في رأس المئتين»اهـ[١].

تم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

(١) «مجموع الفتاوي» (١٣/ ٣٩٠)، و«قارن بالنشر» (١/ ٣٩).